طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
لائحة القومي العربي
www.qawmi.com

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

طلقة تنوير العدد 37

الأفق العربي في قرن آسيوي
إبراهيم حرشاوي

تعدّ القارة الآسيوية خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين السّاحة التي سوف يبرز فيها نظام عالمي جديد يتحدى الأحادية القطبية التي مثّلتها الكتلة الأطلسية المتكوّنة من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. فثلاثة دول من مجموعة "البريكس" – هي الصين والهند وروسيا– تقع في القارة الآسيوية باستثناء الجزء الغربي لروسيا التي يُطلق عليها اسم "روسيا الأوروبية". وقد أعلنت هيلاري كلينتون عندما كانت وزيرة الشؤون الخارجية الأمريكية في سنة 2011 في مقالٍ لها بمجلة "الفورين بوليسي" أنّ الولايات المتحدة سوف تركز في سياستها الخارجية صوب المحيط الهادىء والقارة الآسيوية، وهو ما حصَلَ بالفعل خلال إدارة أوباما، ما يعبّر عن الواقعية السياسية التي تتصف بها السياسة الخارجية الأمريكية.

وكثيراً ما يُربَط الصعود الآسيوي تلقائياً بالنهوض الصيني، الذي أصبحَ نموذجها التنموي يفوق في إنتاجيته وتنافسيته التفوّق الاقتصادي الغربي برغم أنّ الدول المركزية في الغرب لا زالت تحتلّ مرتبة الصدارة على المستوى المعرفي-التقاني والعسكري. لقد كانت الدول العربية – التقدمية منها (كمصر والعراق وسورية) لا تقلّ في تقدمها فترة السيتينيات من القرن الماضي عن معظم الدول الآسيوية، لكن التعثّر الاقتصادي والسياسي الذي شهدته المسيرة التنموية العربية كان نتيجة لخيارات اللبرلة التي انطلقت بعد فترة عبد الناصر والتدخّلات العسكرية الإمبريالية المباشرة. أما في آسيا، فقد اتّسمت المسيرة ذاتها في دول جنوب شرق آسيا كالصين والهند بالاستمرارية، الأمر الذي مكّن هذه الدول من إنجاز قفزة تنموية هائلة، وبحسب بعض التقديرات سوف تتجاوز حصة "دول البريكس" في سنة 2040 حصة "مجموعة الستة " في الاقتصاد الدولي.

وقد تُرجِم النمو الاقتصادي الهائل في دول آسيا إلى ظهور منظمات ذات طابع إقليمي ودولي قد تهمّش أو تلغي دور النظام الدولي الحالي في حالة استمرار النمو الاقتصادي على نفس الوتيرة. فإلى جانب منظمة "بريكس" التي تحمل بعداً دولياً بعضوية البرازيل وجنوب إفريقيا، شهد العالم كذلك تأسيس "منظمة شانغهاي للتعاون" التي لها وظيفة أمنية، وتأسيس "مؤتمر إجراءات التفاعل وإجراءات بناء الثقة في آسيا" بمبادرة من كازاخستان وهو يهدف لحل الصراعات من منظور بناء إجراءات الثقة في آسيا.

طلقة تنوير 37

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 حزيران 2017

- الأفق العربي في قرن آسيوي/ إبراهيم حرشاوي
- أساطير "المحرقة" اليهودية والموقف منها/ إبراهيم علوش
- قراءة في كتاب "العقل العربيّ في القرآن" (2) - دلالة العقل كما فهِمها العرب/ محمد العملة
- منبر حر: الخواء الفكري/ محمود منور بشتاوي
- شخصية العدد: الأمير المثقف الفارس عبد القادر الجزائري/ نسرين الصغير
- الصفحة الثقافية: ناجي علوش شاعراً/ معاوية موسى
- قصيدة العدد: حُكْمُ الغريب/ طارق شخاترة
- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر موقع لائحة القومي العربي:
www.qawmi.com
وصفحة (لائحة القومي العربي) على فيسبوك
روابط صديقة:
موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:
arab.nationalist.moderator@gmail.com

طلقة تنوير
العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

ومن المهم التوقّف كذلك عند مشروع "البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية" بمبادرة صينية، الذي يُعتبر تأسيسه تحدياً حقيقياً للمنظومة المالية الإمبريالية المتمثّلة في "البنك الدولي" و"صندوق النقد الدولي"، إلا أنّ قبول انضمام دول إليه مثل بريطانيا وفرنسا يؤكّد على الطابع البراغماتي للمقاربة الصينية والآسيوية في التعاطي مع القوى الرأسمالية الغربية. أما في بُعده السياسي، فينبغي وضع مشروع "البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية" في إطار مشروع تنموي قاري وعالمي تطرحه الصين كبديل لمفهوم "إجماع واشنطن" الذي يمثّل نموذج النيو-ليبرالية. وقد تمّ إطلاق مفهوم "إجماع بكين" على النموذج التنموي الصيني الذي أثبت نجاحه خصوصاً في القارة الإفريقية على مستوى تطوير البنية التحتية والتنمية البشرية. وسيعمل هذا البنك على تمويل مشاريع ضخمة مرتبطة بالمشروع الصيني للقارة الآسيوية الذي يحمل اسم "طريق واحد، حزام واحد" المعلَن عنه سنة 2013. ويسعى هذا المشروع إلى ربط الصين من خلال شبكة للسكك الحديدية بغرب وجنوب آسيا وأوروبا، كما يرمي المشروع إلى تحسين التشبيك بين الموانئ والمرافق على المستوى الآسيوي والأوروبي والإفريقي لتسهيل حركة المرور التجارية بين آسيا والقارات المجاورة لها.

وقد يتسائل سائلٌ عن مدى قدرة الدول العربية على التعاطي مع هذا الصعود الآسيوي الذي يأتي بفرص وتحديات تاريخية في آنٍ واحد. لقد اتّسمت العلاقات العربية – الآسيوية في التاريخ المعاصر بالوديّة والتضامن، خاصة في مرحلة الاستعمار الغربي والحرب الباردة. وقد برز هذا التضامن في "مؤتمر باندونغ" في إندونسيا سنة 1955 وحركة عدم الانحياز التي نتجت عنه. كما برز أيضاً في التضامن الذي حصل على خلفية تشكيل حلف بغداد في المشرق العربي بشكل متزامن ومتوازن مع تشكيل "حلف سياتو" في جنوب شرق آسيا بغرَض احتواء الصين والحركة التحررية (الفيتنامية نموذجاً) في تلك المنطقة. كما تجلّى التضامن الآسيوي في كل محطة من محطات الصراع العربي – الصهيوني في فترة ما قبل التسويات سواء بالاستفادة من التجربة الفيتنامية في مقاومة الاستعمار الفرنسي والأمريكي أو في الدعم السياسي عبر مقاطعة الكيان الصهيوني أو إنشاء علاقات ديبلوماسية محدودة جداً مع الكيان الصهيوني. وقد وصل الأمر خلال حرب أكتوبر إلى المشاركة العسكرية، إذ أرسلت كوريا الشمالية مثلاً 20 طياراً وعدداً من الخبراء العسكريين إلى الجبهة المصرية. ينبغي هنا طبعاً الأخذ بعين الاعتبار سياق تلك المرحلة، التي كان فيها التوجّه العالم ثالثي التحرري سائداً في كل قارات المعمورة التي خضعت للاستعمار الغربي، بحيث أنّ الميل للتضامن وتجسير العلاقات البينية وقتها كانت تغذيه إلى حدٍ بعيد قيم التحرر والاستقلال، عكس المرحلة الحالية التي تسود فيها المصالح الإستراتيجية للأمم الصاعدة على حساب الالتزامات الأيديولوجية في رسم علاقاتها ومواقفها إزاء دول الجنوب.

لهذا ينبغي تهدئة بعض النفوس العربية المتحمّسة التي ترى في بروز الأقطاب غير الغربية مسلكاً مفتوحاً نحو التعددية القطبية وفكّ التبعية بين الدول العربية والقوى الإمبريالية الغربية. فبرغم صعود دول محورية في آسيا على الصعيد الإقليمي والدولي مثل الصين والهند وإيران وباكستان وإندونيسيا، ينبغي الانتباه إلى حجم ومحدودية هذا الصعود أولاً، وتناقضاته البينية ثانياً. فإذا نظرنا مثلاً إلى العلاقة بين روسيا والصين نجد أنّ مسعاها في بعدها الإستراتيجي هو إضعاف الهيمنة الأطلسية لكنّها في نفس الوقت تتصف بالمنافسة على الصعيد الآسيوي من ناحية توسيع النفوذ الاقتصادي والسياسي وقيادة القارة، ويظهر هذا الأمر جلياً في العلاقة الروسية – الهندية من جهة والصينية – الباكستانية من جهة أخرى.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

وهذه المزاحمة قد يكون من المفيد مقاربتها من خلال فكرة «المعضلة الأمنية» التي توظَّف في تفسير التسابق الأمني بين دول وأطراف تزاحم بعضها بعضاً. ولا بأس أيضاً من توظيف هذا المفهوم في التسابق الاقتصادي الذي يندرج في مخطط أمني وجيو–سياسي للدول الصاعدة والكبرى. ففي هذا النموذج تبدأ ديناميكية التسابق كلما قام أي طرف سياسي بإنجاز أمني ما، فيعتبر الطرف المنافس له هذا الإنجاز تهديداً له فيقوم بدوره بخطوة مماثلة لموازنة المعادلة مع الطرف الأول. لهذا تحاول الهند مثلاً مزاحمة الصين اقتصادياً بمشاريع موازية لمشروع «طريق واحد، حزام واحد» كمشروع «ممر شمال – جنوب» الذي يربط بين مدينة مومباي الهندية ومدينة سنت بيتسربورغ الروسية. وقد اقترحت الهند على إيران وأفغانستان في إطار هذا المشروع أيضاً إنشاء منطقة حرّة تجمع الدول الثلاث. تندرج هذه المبادرة إذن في محاولة الهند لاحتواء المشروع الصيني للقارة الآسيوية بقدر تعارضه مع مصالحها القومية. فالممر الصيني – الباكستاني هو أحسن مثال في هذا المضمار، وقد صرّح بعض الخبراء في الجغرافيا الاقتصادية بأنّ هذا المشروع قد يسبب ضرراً كبيراً لطرق وممرات دولية تقليدية مثل قناة السويس.

إنّ مثل هذه المبادرات تأتي على إثر أجندات قومية لأمم تسعى إلى توطيد وتقوية مكانتها في القرن الواحد العشرين، وهذا هو ما ينقص الأقطار العربية. فعدم وجود بنية تحتية اقتصادية- سياسية مستقلة في معظم الدول العربية وغياب خطة إستراتيجية وأجندة قومية تحدد الأهداف المرحلية لهذه الخطة تمثل جوهر الأزمة في الوطن العربي. لعلّ صعود الدول الآسيوية يشكل حافزاً للدول العربية المركزية التابعة للاستفادة من هذه النماذج التنموية كنموذج «الأوز الطائر» الذي يعتمد على استيراد السلعة من أقرب بلد متقدم صناعياً داخل نفس الإقليم. فيحاول البلد المستورِد إنتاج نفس السلعة بتمويل مشترك أو بدون تمويل مشترك من البلد الأكثر تقدماً. ثمّ تلحقها مرحلة تصدير السلعة من البلد المستورِد إلى بلد أقل تقدماً داخل نفس الإقليم. ويمكن ربط هذا النموذج بنموذج «مثلثات النمو» بين مجموعة من البلدان العربية المتجاورة لإنشاء صناعات تصديرية بقدرة تنافسية عالية على الصعيد الإقليمي والدولي في حالة نجاح الأطراف المندمجة في دمج المهارات البشرية والتقانية والفنية والإدارية في جسم صناعي موحّد. فهي صيغة مبتكرة للتعامل مع منعطفات الاقتصاد الدولي وتقلّبات الطلب فيه ولتنمية العلاقات البينية بين دول إقليم واحد من جهة وبين بلدان الجنوب من جهة أخرى.

يُمثّل صعود الدول الآسيوية فرصة حقيقية للدول العربية لاسترجاع المبادرة في النهوض التي انهارت مع الانفتاح الساداتي بعد وفاة جمال عبد الناصر والحروب الأطلسية على الدول العربية المركزية التي بدأت مع العدوان الأمريكي على العراق بداية التسعينيات من القرن الماضي. كما ينبغي للدول العربية الوطنية والقوى القومية والحيوية الانتباه إلى الوثيقة الرسمية التي أصدرتها دولة آسيوية عظيمة مثل الصين سنة ٢٠١٦ توضّح فيها تصوراتها لسياساتها تجاه الدول العربية وتصوراتها لإمكانيات التعاون الأمني والثقافي والاقتصادي المشترك معها. لقد أكّدت الوثيقة الصينية على محاور ذات بعد استراتيجي من بينها محور التعاون في مجال العلوم والتكنولوجيا ورغبة الحكومة الصينية في تنفيذ برنامج الشراكة العلمية والتكنولوجية الصينية واستغلال الفرص العملاقة التي قد يمنحها «المركز الصيني-العربي لنقل التكنولوجيا» لتأسيس شبكة متكاملة تغطي الصين وجميع الدول العربية للتنسيق والتعاون في نقل التكنولوجيا. إضافة إلى ذلك ثمة نقاط مهمة تتعلق بمصلحة الصين القومية كقضية تايوان التي ثمّن فيها الجانب الصيني الالتزام المستمر للدول العربية بالوقوف إلى جانب الوحدة الوطنية الصينية. ناهيك عن رغبة الصين (غير المعلنة في تلك الوثيقة) في حشد الدعم العربي والدولي بخصوص طموحها في بسط سيطرتها على بحر الصين الشرقي وبحر الصين الجنوبي. وهذا طبعاً يخلق فرصة سانحة للدول العربية لإبراز القضايا القومية، من بينها القضية الفلسطينية لدى صانع القرار في الصين لإيجاد وتوسيع أرضية لدعم القضايا القومية المشتركة واستغلال موقعها كعضو دائم في مجلس الأمن. ومن المهم ذكره أيضاً أنّ المواقف الصينية بخصوص الأمن القومي العربي منسجمةٌ إلى حدٍ كبير مع مصلحة الأمة. ففي المغرب العربي تدعم الصين مثلاً مغربية الصحراء المغربية، وفي المشرق لها مواقف متساوية البعد عن المحاور العربية المتصارعة، فمن جهة تدعم الصين الدولة السورية في الحرب على الجماعات الإرهابية المدعومة أطلسياً، ومن جهة ثانية تقف الصين مع المملكة العربية السعودية في حربها على اليمن برغم قوة ومتانة العلاقة الصينية – الإيرانية. زيادةً على ذلك، تقف الصين برغم اعترافها بالكيان الصهيوني مع مصلحة المقاومة الفلسطينية واللبنانية. فالصين لا تعتبر حركات مقاومة الاحتلال الصهيوني منظمات إرهابية، بل تتعامل مع المقاومة بكل براغماتية، وعلى رأس هذه الحركات منظمة حزب الله التي اتُّهمت الصين ببيع أسلحة متطورة لها.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

إنّ هذه المعطيات يقتضي استثمارها من قبل كل من تهمّه مصلحة الأمة العربية سواء من الجهات الرسمية أو غير الرسمية العربية لخلق لوبي عربي في الصين للدفاع على مصالح وقضايا الأمة بطريقة فعّالة تواكب التحوّلات الدولية والفرص التي تتمخّض من هذه التحولات. ومن الطبيعي والمهم أيضاً أن يتوسّع هذا اللوبي العربي وينتشر ليشمل جميع الدول الآسيوية الصاعدة وينتهز فرص التناقضات الموجودة فيما بينها خدمةً للمصلحة القومية العربية. فالدول العربية تمتلك على هذا الصعيد القوة الناعمة كورقة مهمّة لنشر النفوذ العربي في العمق الآسيوي وهي ورقة تواجد معظم المسلمين في القارة الآسيوية، لكن هذه الورقة للأسف يتمّ استغلالها من طرف أمم مجاورة كتركيا وإيران خدمةً لمصالحهم الإستراتيجية أو يتمّ استغلالها من طرف بعض الدول العربية خدمةً لأجندة حلف الناتو.

خلاصة القول أنّ الطابع الواقعي والبراغماتي هو الذي يحكم المعادلات الدولية الجديدة في ظلّ التحولات التاريخية التي يشهدها العالم. فينبغي إذن الأخذ في الحسبان، كما ورد أعلاه، بأنّ الكتل الآسيوية والعالمية الصاعدة لا تتجانس من حيث المواقف إزاء القضايا الدولية العالقة وتحديات القرن الواحد العشرين بل تدفعها المصالح القومية بالدرجة الأولى، وبالتالي تتأرجح العلاقة مع الإمبريالية الغربية بين المساكنة والعداء، كما ينبغي أخذ هشاشة بعض هذه الدول على مستوى البنى الاجتماعية في الحسبان، حيث لا يزال الفقر والأمية يطالان شرائح واسعة في مجتمعات الدول الآسيوية الصاعدة، ناهيك عن وجود تيارات تسعى إلى عرقلة التنمية المستقلة لهذه الدول كونها ترى في التبعية للمراكز الغربية مسلكاً أنسب لمصالحها . لذا يتوجب على المقاربة العربية أن تتزن بالبراغماتية والواقعية في رسم وهندسة أي رؤية أو سياسة أو موقف تجاه الدول الصاعدة بمرجعية تحددها المصلحة العربية في أبعادها الإستراتيجية المختلفة.

طلقة تنوير
لجنة القيس العربي
www.qlaami.com
العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

أساطير "المحرقة" اليهودية والموقف منها

إبراهيم علوش

النازية وموقفنا منها:

ينسى كثيرٌ منّا، وهم يندفعون لإدانة النازية بكل حماسة المتلهّف على شهادة "حسن سيرة وسلوك"، أنّ النازية انتهت بعد الحرب العالمية الثانية، وأنّ النظام الدولي الذي قام على أنقاضها اتّخذ من معاداة النازية درعاً له. وإذا كانت معاداة النازية تحمل نَفَساً مقاوماً للفاشية يوماً ما، فإنّ تلك الحقبة انتهت تماماً مع انتهاء الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية. أمّا اليوم، فإنّ النخب الحاكمة في الغرب التي ترفع الديموقراطية والليبرالية وحقوق الإنسان وإلى ما هناك كشعارات، هي نفسها التي تبرر وجودها ومشروعيتها بمعاداة النازية لتفرضَ النموذج الليبرالي على المعمورة برمّتها بصفتها إمبريالية محسّنة "ديموقراطياً".

فالمتحمسون اليوم لمعاداة النازية يتجاهلون أنّها أيديولوجية المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، ومن ثم في الحرب الباردة. وقد كانت في أحد جوانبها (السلبية بالنسبة لليبراليين) ذريعةً لتبرير السيطرة السوفييتية على أوروبا الشرقية، ولذلك كان الغرب يقنن استعمالها، ولكنها، بعد الحرب الباردة، باتت تعني "تحرير الجيش الأمريكي لأوروبا"، وفرض العولمة الليبرالية.

النازية انتهت إذن، ومن نواجههم اليوم هم أعداؤها الرسميون. وقد كانوا، بالنسبة لنا، أخطر من النازيين بكثير، لأن الذين قسّموا الأمة وزرعوا "إسرائيل" بيننا كانوا بريطانيين وفرنسيين بالمناسبة، ومن ثم أمريكيين، من أعداء النازية. وباستثناء حالة ليبيا التي احتلتها إيطاليا الفاشية، فإنّ مشكلتنا كعرب وشعوب عالم ثالث كانت تاريخياً أكبر بكثير مع الاستعمار الليبرالي المناهض للنازية مما كانت مع النازيين أنفسهم، خصوصاً في حالة ليبيا مؤخراً.

النظام الدولي الظالم الذي نواجهه اليوم، وذاك الأقل ظلماً الذي تقاسم الاتحادُ السوفييتي وأمريكا العالمَ بناءً عليه بعد الحرب العالمية الثانية، ما برح يقوم على فزّاعة معاداة النازية ويستمد "مشروعية" شيطنة خصومه بمقارنتهم بالزعيم النازي أدولف هتلر. وقد تمّ تدمير العراق وليبيا وسورية، بتغطية من خطاب إعلامي يقارن الشهيدَيْن صدام حسين ومعمر القذافي، والشهيد الحيّ الرئيس بشار الأسد، بالزعيم النازي هتلر، ولا تزال الاستراتيجية الإعلامية نفسها تُستخدَم مرة تلو الأخرى مع كل زعيم يجرؤ على الوقوف في وجه الإمبريالية الليبرالية ومشاريعها: شيطنة الزعيم لتبرير تدمير البلد.

معاداة النازية باتت فوق ذلك، كما نراها بكثافة في هوليوود ووسائل الإعلام والثقافة الغربية، رافعةً لتعزيز النفوذ الصهيوني في الغرب وبشكل عام، وتبرير وجود «إسرائيل» وتبرير سياساتها. وكل حديث عن معاناة اليهود في ظلّ النازيين بات يصبّ في خدمة الحركة الصهيونية ونفوذها العالمي. ومن هنا تأتي خطورة تمرير أساطير «المحرقة» للفلسطينيين والعرب وشعوب العالم الثالث، حتى تتلوث عقولهم بخطاب أيديولوجي يهودي صهيوني يبرر السطوة اليهودية بذريعة «مظلومية» كبرى مارستها النازية عليهم، يقدمونها باعتبارها «أم المظلوميات» في التاريخ البشري برمته.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

ولن نضيع الوقت بالقول إننا يجب أن ندينَ النازية أيضاً، بصفتها عدوانية وتوسعية وعنصرية إلخ.... لأنها ظاهرة بائدة من المنظور التاريخي، حتى لو تقمّص اليمين الأوروبي المتطرف بعض مقولاتها، إنما المظهر الرئيسي للعدوانية والحرب والعنصرية منذ الحملة الفرنسية على مصر كان الليبراليين الأوروبيين والصهاينة.

علاقتنا الضرورية بسردية "المحرقة" اليهودية:
جهنّم معبّدة بالنيّات الحسنة. فعندما يقول قائلٌ أنّ العرب والمسلمين لا شأن لهم بما يسمى "المحرقة" ضد اليهود، ولا يجوز بالتالي أن يتحمّلوا وزرها، لأنها قضية أوروبية خالصة، فقد يعبّر ذلك القول عن قدرٍ كبيرٍ من النوايا الحسنة تجاه القضية العربية، خصوصاً في بُعدها الفلسطيني، بيد أنّه يعبّر في الآن عينه عن جهل عميقٍ بماهية "المحرقة" المزعومة.

فـ"المحرقة" ليست أقل من أهم حدث، أو كذبة، في التاريخ البشري برمّته. فلو أنها حدثت، كما يقول اليهود أنها حدثت، لأصبح العالم بأسره، ومنه الفلسطينيون، مذنبين بتهمة "اللاسامية"، أو التمييز ضد وكراهية اليهود، ومذنبين أباً عن جد، وإلى ولد الولد، ومذنبين إلى حدٍ لا يمكن التعويض عنه مهما قدّموا لليهود. تلك هي "المحرقة"!

فهي لم توضع كرواية لتقف إلى جانب غيرها من الروايات التاريخية، وهي لو صحّت ليست مجرد مجزرة أو فظاعة أخرى تمكن مقارنتها بغيرها من المجازر والفظائع، بل هي أم المجازر، وخلاصة الفظائع، وخرم الإبرة الذي يجدر بكل البشرية أن تنظر للتاريخ من خلاله لتبقى مدانة، وبالتالي مدينة، لليهود، إلى أبد الآبدين. إنها أيديولوجية تبرير سطوة الحركة الصهيونية العالمية بلا منازع. فهي النقطة المرجعية لكل التاريخ والبداية والنهاية والديانة الجديدة للنظام الدولي الجديد، واعتناق ديانة "المحرقة"، التي تقوم طقوسها على عبادة الأغيار لليهود، هي الصهيونية إذ تعولمت، والعالم إذ تصهين، وهي السفلس الفكري الذي بات نشره قراراً رسمياً للجمعية العامة للأمم المتحدة منذ 1 تشرين ثاني/ نوفمبر 2005 حين تبنّت يوم السابع والعشرين من شهر كانون الثاني من كل عام يوماً عالمياً لـ"تذكر المحرقة" وتدريسها ومحاربة "إنكارها".

وغرفة الغاز التي زعموا أن ملايين اليهود قضوا فيها، بقدر ما تعبق بغازات الأكاذيب الآسنة، ليست مجرد كذبة أو مجزرة أخرى، بل هي، لو صحّت، الحالة الوحيدة في التاريخ التي تمّت فيها عملية إبادة جماعية بهذه الطريقة البشعة على هذا النطاق الواسع. فهي الفَرَادة بعينها، وهي تميُّز المعاناة بحد ذاته، فهي لا تترك لك أن تقول إنكَ تقبل بـ"المحرقة" ولا تقبل بفَرَادة المعاناة اليهودية في التاريخ. فالمَخرقة باتت تعريف فَرَادة المعاناة. ولا تستطيع الاعتراف بها دون الاعتراف بالتالي بتميُّز المعاناة اليهودية، وهو الخطأ الجسيم الذي يرتكبه نورمن فنكلستين مثلاً في كتابه "صناعة المحرقة" حيث يعترف بالمَخرقة، ويرفض الطريقة التي تُستغل فيها سياسياً.

فإذا قبلت بالمَخرقة، عليك أن تقبل بفَرَادتها، وإذا قبلت بفَرَادة المعاناة اليهودية في التاريخ البشري، عليك أن تتحمل التبعات. فالمَخرقة ليست مجرد عملية إبادة منهجية، حسب زعم البعض، قام بها النازيون الألمان ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، بل هي تتويج لتاريخ بشري طويل من التمييز ضد اليهود، انتهى بجريمة لا مثيل لها أبداً هي "المحرقة". وقبل دراسة ملف "المحرقة" جيداً، كُنتُ قد كتبتُ مرةً، بالإنكليزية، على موقع الصوت العربي الحر Free Arab Voice، رداً على إدوار سعيد الذي قال إنّ مفتاح حل "النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي" هو تفهُّم الفلسطينيين لمعاناة اليهود التاريخية في "المحرقة"، أن هذا الكلام يجانب الحقيقة، لأن "المحرقة" يفترض أنها جرت خلال الحرب العالمية الثانية، أما وعد بلفور الذي يهب فلسطين لليهود فصدر عام 1917! فجاء الرد من بعض اليهود وأنصارهم أن "المحرقة" لم تكن سوى الحلقة الأخيرة في سلسلة اضطهاد اليهود، سبَقَتها حلقات مثل المذابح القيصرية في روسيا المعروفة باسم Pogroms ضدّ اليهود، ومحاكم التفتيش في إسبانيا منذ سقط الحكم العربي الإسلامي هناك، وكل المذابح ضد اليهود في القرون الوسطى، إلخ... وصولاً "للتمييز العربي-الإسلامي ضد اليهود" الذي يجد أبرز تجلياته في العمليات الاستشهادية في فلسطين، حسب بعض أنصار هذا التوجّه.

وبالفعل، لا يمكن فهم الصراع العربي-الصهيوني بدون فهم «المحرقة» كما قال إدوار سعيد، سوى أن سعيد أرادنا أن نقبلَ بالمَخرقة وأن نتبنّاها وأن نتبنّى أساطيرها، كما فعلت الأمم المتحدة في العام ٢٠٠٥، وهي الأساطير التي أصبحت السلاح الأيديولوجي الأمضى بيد الحركة الصهيونية العالمية، لا لتبرير احتلال فلسطين فحسب، بل لتبرير كل سطوتها في مراكز القرار العالمي، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً. فالمطلوب هو تفكيك «المحرقة»، لأنها فعلاً أحد ملفات الصراع العربي-الصهيوني، لا قبولها كما يقدمها الطرف المعادي...

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

وقد بات للمَخرقة معنىً دينياً يتجاوز الصراع العربي-الصهيوني ليبرر السطوة اليهودية العالمية. فالمَخرقة باتت تعادل في الدين المسيحي فكرة صلب المسيح من أجل خلاص العالم، وهي فكرة متأصّلة في الغرب المسيحي بغض النظر عما إذا كانت صحيحة أم خاطئة من وجهة نظر القارئ، مع كامل الاحترام لكل القناعات الدينية، فالمهم هو أن "المحرقة" تشتق منها، وبنفس الطريقة، فكرة حرق اليهود، كأضحية، من أجل خلاص البشرية.

وقد أشار عددٌ من الكتّاب تكراراً إلى أن "المحرقة" تسمى أيضاً Shoah، أو الشواة، وهي فكرة متصلة بحرق الأضاحي للتكفير عن الذنوب، وهذا الربط على قدر كبير من الأهمية لأنه يربط المَخرقة بمعانٍ دينية، وردت في العهد القديم، أو التوراة، تضفي عليها طابعاً مقدساً في لا وعي الشعوب المسيحية، ومن ثم باقي البشر.

ولذلك، عندما تصبح المَخرقة أضحية يهودية لخلاص العالم، يمكن أن نضيف أن القول إنّ الفلسطينيين غير مسؤولين عن "المحرقة" لأنها جرت في أوروبا هو على نفس القدر من الرداءة كالقول أن الإسلام مثلاً تنزّل فقط على سكان الجزيرة العربية، وليس للعالمين، أو أن المسيحية جاءت فقط للفلسطينيين الذين عاش سيدنا عيسى بينهم، وليس مثلاً للأوروبيين. فالمَخرقة لكل العالمين، وإن آمنتَ بها، عليك أن تحملَ ذنبك وتكفّر عنه بممارسة شعائرها. والمقارنة تهدف للتأكيد بأنّ "المحرقة" باتت ديانة وضعية معاصرة.

ومع أن اليهود يعتبرون دينهم رسالة غير عالمية، وأمراً يخصّهم فحسب، باعتبارهم "شعب الله المختار"، وأن الأغيار دونهم شأناً، وليس مطلوباً منهم أن يؤمنوا باليهودية، بل أن يخضعوا لليهود، فإنّ "المحرقة" على نفس المنوال، لا تقود بالضرورة إلى اعتناق اليهودية، بل لاعتناق اليهود، أو لاعتناق السيطرة اليهودية-الصهيونية، بالتحديد، على العالم، تكفيراً للذنوب السابقة، ضد اليهود. والتكفير هنا ليس مسؤولية الألمان وحدهم، بل مسؤولية كل العالمين، ألماناً كانوا أم غير ألمان، مؤمنين أم ملحدين، فجمالية ديانة "المحرقة"، مقارنة بغيرها من الديانات، أنها ديانة تناسب عصر العولمة، ديانة علمانية محورها اليهود (لا اليهودية بالضرورة)، مع رفع أسمى آيات التقدير ودرجة الحساسية المفرطة بصدد كل ما يخصهم، ومنه اليهودية طبعاً. فاليهود هنا يصبحون نقطة إجماع العالم بلا نقاش، ومتحف ياد فاشيم لضحايا "المحرقة" المزعومين يصبح قبلة العالَمين.

وبالمناسبة، في بداية الثمانينيات، عام 1984 بالتحديد، عالج شخص لا يمكن اتهامه بالتطرف، أو بالتعصب والشوفينية واللاسامية، أحد أمثلة الكذب بشأن "المحرقة" في كتاب بعنوان "الوجه الآخر: العلاقات السرية بين النازية والصهيونية"، صادر عن دار ابن رشد في عمّان، بقلم محمود عباس، أبو مازن!

والكتاب خارجٌ عن الطبع، ولم أتمكن من قراءته أو الحصول عليه، ولكن مقاطع منه موجودة على أحد مواقع الإنترنت، يذكر فيها أبو مازن نقلاً عن كاتب اسمه روجيه ديلورم أن الصهيوني المعروف راوول هيلبرغ يقول أن أقل من 900 ألف يهودي قتلوا في "المحرقة"، وأتخيل أن أبا مازن أورد هذه المعلومة ليناقض رقم الستة ملايين، أو الثلاثة ملايين الموجودة أسماؤهم في معبد ياد فاشيم (Yad Vashim) في القدس الذي يُساق إليه كل الزعماء العالميين الذين يزورون الكيان الصهيوني، لتعزيز حسّ الذنب عندهم قبل البدء بالمحادثات الثنائية، ولعلّ أبا مازن سِيْق أيضاً إلى معبد ذلك الدين الجديد في ياد فاشيم في أحد الأيام، الله أعلم! ولكنه لو ذهب هناك وقال لهم أن ما جرى في "المحرقة" ليس ذنب الفلسطينيين، فإنّه يعرف أنه سيُتّهم بالفاشية واللاسامية وكراهية اليهود، وربما استُخدم كتابه كوثيقة إدانة ضده أيضاً، فالخلاصة هي أنّ مجرد تصديق "المحرقة"، يجعلك كإنسان مسؤولاً عنها، ويصبح عليك بالتالي أن تقدمَ التعويضات! وهي فكرة غير معقولة بالتأكيد، ولكنها بالضبط الفكرة التي تريد أن تفرضها الحركة الصهيونية واللوبيات اليهودية على العالم.

ومنذ صدور قرار الأمم المتحدة في 1 تشرين ثاني /نوفمبر 2005، تصاعدت حملة التنكيل بالمؤرخين المراجعين في أوروبا الغربية، وهم مجموعة من العلماء والكتّاب الذين يفنّدون أساطير "المحرقة" ويدحضونها بالعلم والتحليل. وكان من هؤلاء مثلاً المؤرخ البريطاني المعروف ديفيد إيرفينغ، الذي اعتُقل في النمسا وهو في طريقه لإلقاء محاضرة هناك في 11/11/2005، بتهمة إلقاء محاضرتيْن في النمسا تشككان في "المحرقة" عام 1989!! أي بعد ستة عشر عاماً فقط! فإذا كان مثل هذا الأمر معقولاً ومقبولاً في أوروبا الغربية، منبع الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان، يصبح من المعقول والمقبول أيضاً أن يكون كل ابن آدم من غير اليهود مسؤولاً عن "المحرقة".

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

فإذا كانت "المحرقة" هي الديانة الجديدة للنظام الدولي الجديد، فإنّ المؤرخين المراجعين يصبحون بذلك "الكفّار الجدد". وبعد قرار الأمم المتحدة، لم يُعتقل ديفيد إيرفينغ فحسب، المتّهم بالاعتدال والتساهل بين صفوف المؤرخين المراجعين، بل شملت الحملة الكاتب المراجع الكندي الجنسية إرنست ذوندل الذي رُحِّل من كندا ليواجه المحاكمة بتهمة التشكيك بالمَخرقة في ألمانيا في 15 تشرين ثاني/ نوفمبر 2005، وعالم الكيمياء الألماني المقيم في أمريكا الذي رُحِّل إلى ألمانيا ليواجه المحاكمة بنفس التهمة في 16 تشرين الثاني / نوفمبر 2005، وغيرهم كثر، ممن قضى أو يقضي أحكاماً بالسجن أو بالغرامات بتهمة التشكيك بالمَخرقة، مثل الكاتب السويسري رينيه لويس بيركلاز الذي قضى حالياً حكماً مدته 17 شهراً بالتهمة نفسها في بلاده، والكاتب البلجيكي سيغفريد فيربيكيه الذي اعتقل في إحدى مطارات هولندا في صيف عام 2005 بنفس التهمة: التشكيك بالمَخرقة. وهذا بالطبع غير كل المؤرخين المراجعين الذين فقدوا وظائفهم أو تعرضوا للاعتداء بالضرب أو للاغتيال، والقائمة طويلة، فممنوع بتاتاً مجرد بحث موضوع المَخرقة. ومن يفعل، لا يلومنّ إلا نفسه.

الاتجاهات العربية الثلاث في التعاطي مع ملف "المحرقة":
برزت، خلال السنوات الماضية، ثلاثة اتجاهات عربية في التعامل مع "المحرقة" اليهودية، أولها يعترف بها ويروّج لها وهو اتجاه الليبراليين العرب، والثاني يدعو إلى تجاهلها باعتبارها مسألة لا علاقة لنا بها، وهو اتجاه معظم أنصار القضية الفلسطينية في الغرب، أما الاتجاه الثالث فقد دعا إلى تفنيدها باعتبارها مجموعة من الأساطير المفبركة لأسباب سياسية وأيديولوجية تتصل مباشرةً بالصراع العربي-الصهيوني وقوة اللوبي اليهودي العالمي.

لكن المشكلة في الاتجاه الذي يعترف بالمخرقة، سواء روّج لها بعد ذلك أو تجنّبها، هي أن أساطير "المحرقة" خارقة إلى درجة تتفّه كل معاناة سواها، فهي تدور حول فرادة المعاناة اليهودية، مما يجعل القضية الفلسطينية بعد القبول بها مجرد حادث عابر لا قيمة له أمام أهوال "المحرقة" التي لا مثيل لها والتي يتحمل كل العالم مسئوليتها بسبب "لا ساميته" المزعومة كما تمت الإشارة أعلاه.

وكما قال إيلان بابي، المؤرخ "الإسرائيلي" الذي كشف فظائع العدو الصهيوني عشية قيام دولة "إسرائيل" عام 48: "إن المرء لا يجب، ولا يستطيع، ولا يجوز أن يساوي ما بين الإبادة الجماعية والتطهير العرقي. فكلاهما شيءٌ رهيب، ولكن الإبادة الجماعية جريمة أسوأ بالتأكيد من التطهير العرقي، ولذا لا يجوز أن يساوي المرء ما بين المحرقة والنكبة"!

مخرَقة، بمعنى كذِب واختلاق، هي المضمون الحقيقي لأساطير "المحرقة" اليهودية التي يحيي "ذكراها" الكيان الصهيوني في نيسان كل عام (وهو غير اليوم العالمي لإحياء "ذكرى" الأكذوبة)، والتي قدّم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس اعترافاً علنياً بها بتلك المناسبة لحاخام كان يزوره في المقاطعة في العام 2014. فالحروب تُخاض، قبل السلاح، بالقناعات الفكرية والعقائدية. و"المحرقة" كعقيدة هي أخطر سلاح أيديولوجي وعقائدي تملكه الحركة الصهيونية لتطويع المجتمعات الغربية أولاً، ثم بقية العالم، لأن "المحرقة" ليست مجرد رواية تاريخية أو حدث وقع كغيره في الحرب العالمية الثانية، بل هي في الثقافة الغربية عامة أهم حدث في التاريخ البشري برمّته، وأخطر مجرزة مزعومة عرفها الإنسان، وهي عقدة الذنب المركزية التي كرسّها الصهاينة في الوجدان الغربي من أجل تحقيق الأهداف التالية بالتوازي:

1) تبرير نفوذ اللوبيات اليهودية في المجتمعات الغربية وسطوتها ورمي كل من ينتقدها بتهمة "معاداة السامية" على نمط النازيين الذين يفترض أنهم قاموا بتلك "المحرقة".

2) تبرير حق الكيان الصهيوني بالوجود نظراً لحاجة اليهود الملحّة دوماً لملجأ من "لا سامية" هذا العالم، لكي لا تتكرر "المحرقة" مجدداً، تحت شعار never again!

3) تبرير بقاء الكيان الصهيوني فوق أي قانون أو شرعة دولية أو دينية بذريعة الحاجة لضمان أمن اليهود بأية طريقة مشروعة أو غير مشروعة، ومن هنا التسامح الغربي مع الترسانة النووية وغير التقليدية "الإسرائيلية" مقابل أي سلاح غير تقليدي في المنطقة.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

وتقوم "المحرقة"، كأسطورة، وكديانة وضعية معاصرة يعاقَب من "يكفر" بها في عدد من الدول الغربية "الديموقراطية" بالسجن والغرامات والطرد من العمل، على ثلاثة أعمدة مركزية:

1) الزعم أن النازيين شنّوا حملة إبادة جماعية ضد اليهود في ألمانيا والمناطق الأوروبية التي احتلوها،
2) الزعم أن ذلك أودى بحياة ستة ملايين يهودي في أوروبا،
3) الزعم أن ذلك تمّ تحديداً عبر قتل هؤلاء في غرف غاز خاصة.

العنصر الأهم في هذه المعادلة هو غرفة الغاز، لا عدد القتلى المزعومين كما يظن بعضنا. فليست المبالغة بعدد القتلى هي الأهم، بل غرفة الغاز، التي تعطي فَرَادةً للموت اليهودي، وتحوله إلى "محرقة" ذات أبعاد رمزية لخلاص العالم، أشبه بحرق الكبش كقربان في مذبح الهيكل فداءً للرب.

والقصة برمتها عبارة عن كذبة ملفّقة لأن:

1) السياسة النازية إزاء اليهود في أوروبا، أو "الحل النهائي" كما يسمونه، كان ترحيل اليهود من أوروبا، لا قتلهم، ولا يوجد أي دليل أو وثيقة، أو أمر موقّع من هتلر أو غيره من المسؤولين النازيين الذين كانوا يوثّقون أدق تفاصيل عملهم، يتعلق بإبادة اليهود، ولا ذُكرت مثل تلك الإبادة بكلمة واحدة في مذكرات تشرشل أو ديغول أو غيرهم من زعماء الحرب العالمية الثانية،
2) لم يكن يوجد ستة ملايين يهودي تحت الحكم الألماني في الحرب العالمية الثانية، ناهيك عما يقارب مليون أو مليونين بقوا أحياء بعد زوال الاحتلال النازي،
3) لا يوجد حتى الآن أي دليل أو مخطط هندسي أو قديم أو حديث يوضح طريقة عمل غرف الغاز المزعومة. في الواقع، وهنا بيت القصيد، وأهم جزء مما يسمى "إنكار المحرقة"، لا يوجد يهودي واحد (أو غير يهودي) مات في غرف الغاز!

ما الذي حدث إذن لليهود في الحرب العالمية الثانية؟ مات اليهود كغيرهم من الجوع والمرض والقصف إلخ... ومات بضع مئات الآلاف بتلك الطريقة تحديداً من بين 55 مليوناً قضوا في الحرب العالمية الثانية.

إذن لا فَرَادة في موت اليهود، ولا حملة إبادة، ولا غرفة غاز، وهذا يعني أن العالم ليس مضطراً لتحمل عقدة ذنب إزاء اليهود بأي شكل، وأن ذرائع حاجة اليهود لمعاملة خاصة لكي يتجنّبوا "محرقة" أخرى قد تسقط عليهم بالجملة، وهذا هو جوهر "إنكار المحرقة"، التي يجب أن توضع بين مزدوجين دوماً، مثل "إسرائيل"، كناية عن عدم الاعتراف بها، أو أن نسميها المخرقة، من مخارق، كناية عما لا يقبله العقل.

فالقبول بالأكذوبة يعني القبول بحق اليهود الصهاينة بـ"الأمن والأمان"، وبالتالي بنزع السلاح الاستراتيجي لأعدائهم، وبضرورة تفكيك كل قوة مركزية في محيطهم، وبالحاجة الماسّة لمنع عودة اللاجئين إلى ديارهم خوفاً من أن يشكلوا خطراً عليهم، ولإلزامية التنسيق الأمني معهم، وبأن يصبح العالم بأسره مديناً لهم ... وبحقّهم، على الأقل، لا بدولة يهودية فحسب، بل بيهودية الدولة!

طلقة تنوير
لجنة التهيئة العربية
www.tahrir.com
العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

قراءة في كتاب «العقل العربيّ في القرآن» (٢) ـ دلالة العقل كما فهِمها العرب

محمد العملة

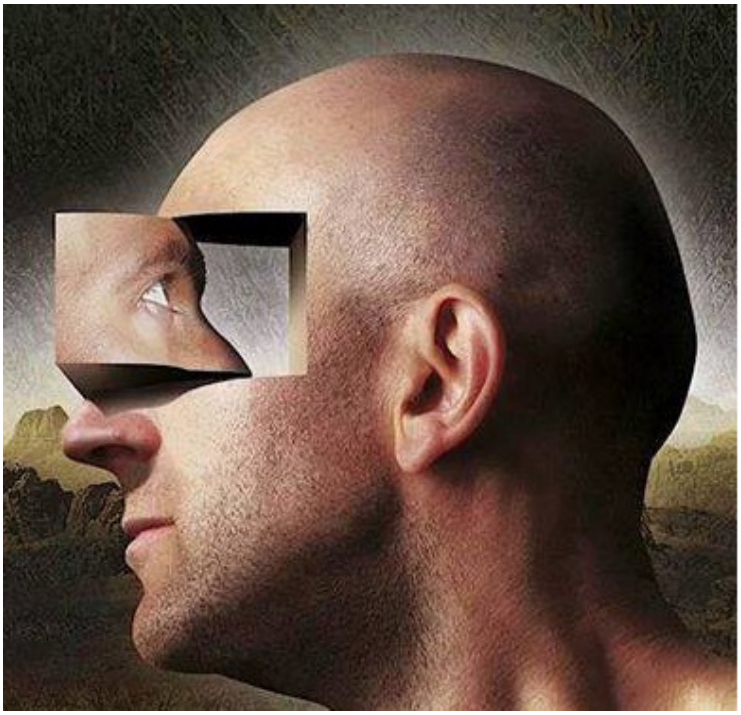

يحدث أحياناً أنك تقرأ نصّاً من النّصوص لتخرجَ بفهم جديد له، وأفكار لم تكن قد طرأت في ذهنك خلال قراءة سابقة لنفس النّص، ولأن النّص لم يتغير؛ فذلك يعني أن وعيك كقارىء هو الذي طرأ عليه التغيير، وقد قلتُ في الجزء السابق أن النصوصَ متجددةٌ بتطوّر الوعي واختلاف القراءة لها، أي بما يمكن للقارىء أن يعقله منها بوصفه مُنتِجاً للنّص.

فهْمُ النّص ينطوي على مجموعة إجراءات ذهنية أسماها العرب «العقل»، وهو ما سيكون موضوع حديثنا في هذا الجزء -من كتاب «العقل العربي في القرآن» لسعد كموني-، وفيه نجد الصلة بين الكلام وكيف ينتجه متلقّي النص عند قراءته.

بدايةً، ما هو العقل؟ ما هي وظيفته الدلالية عند العرب؟ وما هي مكونات تلك الإجراءات التي أسماها العرب «عقلاً»؟!
يعرّف «ابن منظور» في «لسان العرب» العقلَ على أنه «الحجْر والنّهي ضدّ الحمْق»؛ فالحجْر (بفتح الحاء أو ضمّها أو كسرها) يعني الحرام، ويقال: في حجْر فلان، أي في كنفه ومنعته. أما النّهي فيعني الامتناع والحد، وفي السياق القرآني: «إن في ذلك لآيات لأولي النُّهى»، والنُّهى (جمع نُهيَة) هي العقل واحداً وجمعاً، وقد سمي العقل نُهية لأنه ينهى عن القبيح. كما أنّ العقل ضدّ الحمق، لأنّ الحمق عدمُ انضباطٍ وانفلات، بالتالي يكون العقل هو الانضباط بعينه، فمفردة العقل مأخوذة أصلاً من «عُقِلت البعير»، أي جُمِعَت قوائمه.

من خلال تعريف العقل عند «ابن منظور» يظهر أنه ضرْبٌ من النشاط الذهني والحركي معاً، وهذا النشاط بشكله المجرّد يوصف بالحد والضبط والاكتناف والإمساك.

بشكل عام، دلالة الكلام مأخوذة من التّشبيه والتّمثيل، فالنشاط الحركي يوجّه النشاط الذهني لإعطاء دلالات تشبيهية للكلام، لذلك قالت العرب: «أعقَلَ القوم» تمثيلاً على انزوائِهم واجتماعهم في الظل عند اشتداد قيظ الظهيرة، وتشبيهاً لتجمّعهم في مكان واحد كما تُجمَع قوائم البعير، وعلى نفس القياس «فلانٌ عاقل» أي أنه جامع وضابط لرأيه، و»اعتقل لسانه» أي منعه عن الكلام القبيح، بل إن ديّة القتلى سمّيت «عقلاً» للدلالة على ثمن الدم، فقالوا: «اعتَقَل فلانٌ من دم صاحبه ومن طائلته إذ أخذ العقل»، ففي الديّة ضبط للقتل وإيقاف له، ولأنّ أموال العرب في مجتمع القبيلة كانت الإبل، وفي تأديتها ثمناً -بأن يسوقها القاتل معقولة (أي مربوطة) - حقنٌ للدماء، وفيها يقول «زهير بن أبي سلمى» في معلّقته:

"لَعَمْرُكَ مَا جَرَّت عَلَيْهِمْ رِماحُهُمْ ... دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أَو قَتِيلِ المُثَلَّمِ
وَلا شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ... وَلا وَهَبٍ مِنْهُم وَلا ابْنِ المُخَزَّمِ
فَكُلاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرَمِ"

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

في "القاموس المحيط" يشرح "الفيروز آبادي" معنى العقل فيقول: "هو العلم، أو بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيْرَين أو شرّ الشّرين، أو مطلق لأمور أو لقوّة يكون بها تمييز القبح والحسن، ولمَعانٍ مجتمعات في الذّهن يكون بمقدّمات يستَتبُ بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه".

المعنى الذي ذكره "الفيروز آبادي" للعقل فلسفيٌ أكثر من كونه لغويّاً، وهو توجه في كلامه إلى المتلقّين ضمن مقتضيات الزمن الذي هم فيه راصداً استخدام المفردة في ذلك الحين، ومع ذلك هو يضيف جملة المعاني التي ساقها ابن منظور في شرح معنى العقل ودلالاته.

إنّ سياحة المعنى من مفردة إلى مفردة -بحسب تعبير "سعد كموني"- تحددها أو تفرضها الرؤية التي تسوّغها هيمنة العلاقة بين الفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى، وبتطوّر هذه العلاقة يمكن أن تُعزّز مفردات في قدراتها الدلالية ضمن السياق اللساني والاجتماعي لها، كما من الممكن أن تنسحب مفردات من مجال الاستخدام وتندثر.

عطفاً على ما سبق، يمكننا القول بأن العقل هو مجموعة إجراءات حركية أولاً، وذهنية ثانياً، بهدف الإحاطة بالأشياء وإدراكها ثم التمكّن منها أو معالجتها، وقد كانت الإجراءات الحركية سابقةً على الذهنية كون العرب كانوا يصنّفون الأشياء ويعطونها المعنى الدلالي باستخدام التشبيه والتمثيل على إجراء حركي يمارسونه.

استخدام العرب لمفردة العقل يجد له أساساً متيناً في وجدانهم الذي عبّروا عنه بصور عديدة أبرزها الشّعر، والسؤال هنا، بماذا يتمايز الشعر عن غيره، ولماذا هو تحديداً؟

حسناً، الجواب سهل ويمكن اختصاره بأنّ الشعر عند عرب الجزيرة يكاد يكون الوسيلة الوحيدة للتعبير عن أحاسيسهم في مناخ تسوده الثقافة الشفهية المسموعة، أضف إلى ذلك أنّ بنية النص الشعري من الصعب لها أن تتخلى عن ترتيب ألفاظها التي وظّفها لها المبدع بمقتضى ما أراد إيصاله من دلالة للمتلقي كتمثيل على ما يختلج في نفسه من كلام. إننا نتحدث إذن عن تاريخ كامل تناقَله العرب في أشعارهم خلال العصريْن الجاهلي والمخضرم.

يستخدم "سعد كموني" مفردة "الوجدان" للتدليل على مجموعة التجارب العربية في الشّعر ودلالة العقل فيها؛ فالوجدان يعني الإصابة والإدراك، وهو قوة باطنة تدرك الصّور والمعاني في مواجهة الطبيعة وما وراءها، وتعبّر بواسطة الكلام عن علاقة الإنسان بالزمان والمكان والمجتمع التي ذكرناها في الجزء الأول.

لنأخذ البيت التالي الذي يقول عنترة بن شدّاد فيه:
"ولا تسقني كأس المُدام فإنها ... يضِلُّ بها عقلُ الشّجاع ويذهَبُ"

يرى عنترة نفسه شجاعاً، والشجاع هو الشديد عند البأس، وأن إضافة مفردة "العقل" إليها تنطوي على سلوك يستند إلى اهتداءٍ ورشاد يحدّان من الاندفاع الذي يوصل إلى التّهوّر بفعل الخمرة؛ فهي تضل عقل الشجاع فتفقده رشده وهُداه وتقوده إلى مسالك صعبة.

أما امرؤ القيس فيستخدم مفردة "عاقل" -وهي اسم لجبل- للتدليل على انتهاء غاية ما في نفسه، فيقول:
"غشيتُ ديارَ الحي بالبكراتِ ... فَعَارِمَةٍ فَبُرْقَةِ العِيَرَاتِ
فعُوْلٍ فحِلّيتٍ فأكنَافِ مُنْعِجٍ ... إلى عاقلٍ فالجبِّ ذي الأمراتِ
ظَلِلْتُ، رِدائي فَوْقَ رَأسيَ قاعداً ... أعُدّ الحَصَى ما تَنقَضي عَبَرَاتي"

يعدد الشاعر في أبياته السابقة بضعة مواقع للتدليل على المكان الذي سار إليه، وهي مواقع لها أهمية خاصة في نفسه ترتبط بها مشاعره على اختلافها، والمثير أنه يستخدم فاء العاطفة لتعداد المواقع تباعاً، لكنه يستخدم حرف الجر "إلى" عند وصوله "جبل عاقل" ليضع حدّاً للفعل "غشيتُ"، وسواء كان "عاقل" اسماً للجبل أم صفةً له (لأن الجبل منيع كالحصن فيوصف بأنه عاقل) فإنّ شاعرنا يرى فيه ما يحدّ النظر الداخلي أو العياني مانعاً إياه من التمادي والشطط.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

العقل عند "الشّنفرى" تعبير عن سلوك ذهني قوامه الوعي والرشد يمكّن المرء من تجاوز الضيق الذي يكتنفه بقوله:
"لعمرُك ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقلُ"

شعراء آخرون مثل "طرفة بن العبد"، "أميّة بن الصّلت"، "حسّان بن ثابت"، و"المخبّل السّعدي"، تناولوا مفردة "العقل" الماثلة في وجدانهم ليعبّروا فيها عن إجراءات ذهنيّة أو حركيّة أو الاثنتين معاً بمقتضى الواقع الماثل أمامهم، والمتطور على الدوام ضمن علاقته الجبرية مع الزمان والمكان والمجتمع.

تأسيساً على ما سبق، ما الرابط بين كل هذا والقرآن؟

يطمح "سعد كموني" إلى الكشف عن بعض ملامح العقل العربي عبر دراسة مفصّلة له ضمن السياق القرآني، وما ذكرته حتى الآن هو تمهيد لموضوع البحث الذي أريد إجمال أفكاره ثم البناء عليها أو نقدها في القادم من أجزاء، والكاتب إذ يبدأ بشرح معنى الكلام ثم بيان عناصره وعلاقتها مع الزمان والمكان والمجتمع، إنما يريد أن يخلص منها إلى أن المتلقي هو المنتِج للنص بواسطة فهمه وضمن الواقع الذي يعيشه، ولأن الفهم قوامه العقل، فقد كان مجدياً أن يتناول الكاتب دلالة العقل عند العرب، وليس هناك أفضل من الشّعر كمستودع لخبراتهم الماثلة في وجدانهم.

والعرب هم المخاطَبون في السياق القرآني، الذي جاء بلغتهم، وبمنطقهم، ضمن الواقع الذي يعيشونه، فهم بالتالي منتجو النّص بما يفهمونه منه، وقوام الخطاب القرآني يتمحور حول فكرة الوحدانية لله، لإحداث انقلاب شامل في واقع العرب الاجتماعي والنهوض بهم كأمة واحدة مجتمعة.
الانقلاب الشامل ليس أمراً سهلاً إطلاقاً، فنحن نستنفذ وقتاً وجهداً للإجماع على فكرة أو مسألة جزئية، فما بالكم -يرعاكم الله- بنظام أو قانون شامل يلغي الأساس الذي قام عليه واقع العرب في الجزيرة ممثلاً بالسلوك القبليّ؟!

لذلك جاء النص القرآني بما فيه نفاذ إلى الوجدان العربي؛ فقصصه وأمثاله وأسماء أو صفات الإله المدعويّن لإتّباعه ومنهج استنباط العِبر فيه كلها تقوم على مهاجمة سلوك القبيلة (الشِّرك) -بوصف الأصنام رموزاً له- والدعوة لنقيضه تماماً (التوحيد) كضامن لاجتماع العرب، مستخدماً كلامهم لإيصال مراميه إليهم.

من هنا تكررت مفردة العقل في السياق القرآني -الذي حمله النبي العربي إلى قومه- تسعاً وأربعين مرّة بصيغ: أفلا تعقلون، لعلكم تعقلون، إن كنتم تعقلون، لقوم يعقلون، لا يعقلون، يعقلون، تعقلون، ما عقلوه، ونعقل.

ينطوي استخدام المفردات السابقة في النص القرآني على معانٍ عديدة، فهي تمثيل على إجراءات إنسانية عند عرب الجزيرة سواء كانت حركية سلوكيّة أم ذهنيّة معرفيّة تدلل على ربط العلة بالمعلول من خلال ملاحظة عامل الزمان أو المكان، وامتلاك منهج يميز الحق من الباطل، وقراءة الأحداث والاعتبار منها ثم الاستفادة من تاريخ الأوّلين، وضبط المرء لنفسه عن سلبيات اللهو واللعب، والدعوة إلى المعرفة، وضبط السلوك على نحو يحقق أمن المجتمع ووحدته كإجراء اجتماعي نضالي في بيئة صعبة، إضافة لإجراءات ذهنية تمكّنهم من فهم الناموس الطبيعي والاهتداء وتشكيل الوعي لتحليل وفهم النص المرجعي بواسطة حيازة الدليل، بما فيه ذلك من توحيد للسبل نحو إجابات تساءل القوم عنها، معطياً الحواس جدواها في منهج استدلالي يلخص جملة المواقف الوجدانية والظواهر الحياتية للإنسان للسير في الأرض والنظر كيف بدأ الخلق.

إنّ كون القرآن عربياً يجعل من وجود العقل العربي مطلوباً لفهمه، وبحسب تعبير "سعد كموني": "إذا كانت عروبة القرآن بإجماع أصحاب التفاسير تعني اللسان العربي، فذلك يعني أن العناصر المكونة للمُرسَل معهودة لدى المُرسَل إليه؛ فاللّسان تشكّل من زمن العربي وعلاقته بالزّمان والمكان. وأن يكون العقل للعربي مطلوباً، فذلك لأنه لا حجّة له ألّا يعقل والقرآن بلسانه، فذلك اللسان مؤسسة مجتمعية ونظام من القيم، به يعرّف الأشياء ويسمّيها، وبه يقص القصص، ويرويها، وبه يحلم ويهجس، وبيني علاقته مع الزمان والمكان وما وراءهما، ومع المجتمع ونظمه"، فاللّسان عتاد للعقل في الفهم، أي مكوّن له، ولأنّ مكونات الكلام الذي ينطقه اللسان تتأثر بعلاقة جدلية مع الزمان والمكان والمجتمع، فإنّ هذا الثالوث ضمنياً يترك أثره على العقل في مكوّناته واهتماماته.

يتبع...

طلقة تنوير
العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

منبر حر:
الخواء الفكري

محمود منور بشتاوي

كثيرٌ من المفاهيم والتصوّرات التي تتعمق في ثقافتنا العربية هي بقايا خرافات وأوهام سيطرت على عقول الناس ووجدانهم، فأنتجت عجزاً عن تقدير الواقع بموضوعية، وأصبحت حججاً يستخدمها البعض لبَثّ الأوهام والأساطير التي توجّه سلوك الناس وتضعهم في حالة تعبئة نفسية تتميز بالإنفعالية في الحوار، والانحراف في الأفكار، ما يعطّل إمكانيات الإبداع والابتكار ومحاولات تحرير الحاضر من قيود الماضي، والنظرة العقلانية إلى الوجود، وبناء عقلية عربية متنورة، حتى توهم البعض بأنّ نقد الموروث الثقافي يعني الهدم، وليس فهْم وبيان حيويته وموافقته لمعالجة قضايا الحاضر.

مفهوم التحضّر يعني وجود المؤسسات الاجتماعية والسياسية والدينية التي تبني وتدعم مسيرة الأمّة، والتي تحكمها القوانين والأنظمة والشرائع التي تنطبق على الجميع، والتي تحدّ من الصراعات الطائفية والإثنية والجَهَوية والقَبَلية، وتعمل على تعميق التلاحم الاجتماعي والمحافظة على النسيج الوطني والسلم الاجتماعي وتعزيز مفهوم التعددية، وكسر هذه الأنظمة والقوانين والقفز فوقها يكون هدفاً للآفات التي تصيب الفكر، ويتم ذلك من خلال المطالبة بحرية الفكر أو من خلال رفع شعارات تتخذ من الدين أو الإصلاح ستاراً لها وبمحركات من المصلحة الشخصية أو الطائفية.
ومن الآفات التي يعاني منها العقل الجمْعي العربي قابلية التأثّر بأي فكر وأي منهج، والفوضى الفكرية الناتجة عن اختلاف المشارب، والتركيز على الجزئيات الضيقة والاهتمام بصغائر الأمور أو تضخيمها، والافتقار إلى المنطق وعدم الموضوعية في تناول المواضيع ذات الشأن، وغياب الرؤية العلمية، والسطحية في عرض الأفكار، والتعصّب، وما يسود المجتمع من أفكار فاسدة وخرافات، والاستدلال الفاسد، وسطحية المنهج الفكري، والمداهنة، وعبادة الأشخاص، وهي تساهم جميعاً في ما يمكن اصطلاحه بالفراغ أو الخواء الفكري، بمعنى خلوّ الفكر مما ينفع ويفيد أو امتلائه بما لا ينفع ولا يفيد، وهي آفة لا تقتصر على عامة الناس، ولكنّها تمتد إلى بعض ممن يُصنَّفون ضمن النخب الفكرية.

وقد ابتُلِيَ وطننا العربي بمن يحاولون النيل من الوحدة الوطنية والقومية الجامعة وتغليب هويّات فرعية عليها، وخفْض المستوى الفكري العام وصناعة أفق ضيق تعاني منه الفئة العمرية المنتِجة، وتشتيت أبناء المجتمع الواحد إلى طوائف؛ كل طائفة تسير خلف فكرة ومبدأ، ويعود ذلك إلى نفسية اجتماعية عاشت أوضاعاً اقتصادية واجتماعية عانى منها المجتمع العربي على مدى حقب كثيرة من التاريخ، إضافة إلى ما يعيشه الشباب من صعوبات كثيرة مثل عدم وجود فرص عمل.

وتأتي العلاقة بين الموروث من التراث وبين النظريات الفكرية الحديثة في مقدمة الإشكاليات التي تتفاعل في الحياة اليومية المعاشة للإنسان العربي، فتتمثل صراعاً بين تيارات تقدمية وأخرى تتمسك بالماضي وتستمرئ التقوقع والجمود، وتقود إلى ترسيخ نفسية مضطربة متوترة تكره ما عداها، وتعمل على تجسيد الطائفية والعرقية في المجتمع الواحد. ويمكن توصيف البيئة المجتمعية العربية بشكل عام بأنها حاضنة لفكر خرافي يغلب عليه أن يكون غيبياً يعتمد على الأرواح والشياطين، ويعمل من يميلون إلى هذا الفكر على وضع أفكارهم إما تحت مظلة الأديان أو إلباسها قناعاً علمياً.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

إن انتشار الخرافة في مجتمعاتنا العربية يزيد من ضبابية النظرة إلى غدٍ أفضل، ويتشعّب المخزون الخرافي بحيث يصعب الفصل في بعض الأحيان بين ما هو خرافي وما هو جزء من العادات والتقاليد والمعتقدات، كما تتنوع مظاهر الجهل والخرافة وتتعدد مظاهر تأثيرها على السلوك، فالعقل الجمعي العربي لا يميز كثيراً من الخرافات ولا يريد أن يبحث إذا ما كانت جذور أفكاره وما يعتقد من ثوابت هي خرافات وأساطير لا يمتّ إلى الواقع بصلة، وهي تسيطر على عقل الفرد وتعطّله فتتحكم في حياته ووجدانه وتكبّل دوره في إدارة الحياة، وتقود سلوكه العملي، حيث يشيع في حياتنا، على سبيل المثال، جملة من الطقوس والممارسات السلوكية الخرافية التي تتعلق بالشعوذة والتنجيم والتعويذات والتمائم أو ما يرتبط بالحسد، والاعتقاد بقدرة بعض الأشياء على مقاومة هذا الحسد، والعين الحاسدة، وقدرتها على شفاء الأمراض، والاعتقاد بقدرات الأولياء على كسر قوانين الطبيعة وتبديل سنن الكون سواء كان هؤلاء الأولياء أحياء أم أموات، والإيمان بالجنّ والتواصل معهم، وفي علاقتهم ببعض الحيوانات، والإيمان بالأشباح وتعاطي السّحر.

إن سيطرة الأفكار الخرافية والتعلّق بها تمثّل انحرافات نفسية، وتتنوع مظاهر هذه الانحرافات بين الإيمان بالخرافات التي تربط مصير الإنسان ببعض الأحداث، وهي تخيلات وأوهام يخلقها الإنسان، وبين مظاهر الشعوذة المتعارَف عليها لدى العامة والاعتقاد بالكرامات والاطّلاع على الغيب وخبايا النفس، ويأتي في مقدمة ما يمكن وصفه بالتفكير الخرافي الإيمان بفكرة الحسد والعين والإيمان بالسحر، والإيمان بالجن وقدرتهم على التلبّس، واستحضار الأرواح وقراءة الطالع وقدرة المشعوذين من خلال قراءة الأدعية والابتهالات على شفاء الأمراض بما فيها الأمراض المستعصية.

وحتى عملية التفكير فإنّه يمكن أن تطالها آفات الفكر، فيمكن أن يكون فيها اتّباع للهوى أو اعتماد على مبادئ أولية غير صحيحة أو انتقاء لمبادئ تقود إلى هذا الهوى، ومن ذلك حشْد الأدلة التي تؤيّد الطرح والتحيّز له وتجاهل ما يخالفه أو اتخاذ منهج استدلالي خاطئ يقود إلى اعتقاد يخالف المنطق. ويكون إدراك الشيء بصورته، أو سمة من سماته التي تميزه، أو إدراك حقيقته المجرّدة إذا كان من المجرّدات العقلية كالخير والشر، ويمكن أن يقود التفكير إلى الاعتماد على أخطاء تبدو في ظاهرها سليمة ويكون الاعتقاد بصحتها بحكم التعوّد عليها، أو شعور داخلي مبني على ميول واتجاهات ذاتية، أو يتشعّب التفكير فيقود إلى تحصيل معرفة لا تكشف عن واقع أو تتطابق معه، بأن تكون مطابقة للواقع ينقصها الدليل، أو يصل إلى حل يحتاج إلى برهان، فإذا لم يكن الاعتقاد مطابقاً للواقع حقيقةً فإنه يكون اعتقاداً فاسداً، والاعتماد عليه يعتبر دليلاً على الجهل، فالجهلة هم من يوقنون باعتقادات فاسدة يترتب عليها أثر أو سلوك.
يتمتع المتدينون في المجتمعات العربية بمكانة خاصة في أوساط الناس، ومنهم من يقحم نفسه في أمور الوعظ والإرشاد وإصدار الفتاوى وتحليل سلوك الناس وتحريمه من غير أن يكون مؤهلاً لذلك، وقد يقوم به مدفوعاً بفكر متطرف أو التبعية لسلطان أو لفكر سياسي يبعده عن قضايا أساسية وعن الموضوعية والحياد، ويستغلّ في سبيل ذلك منابر عدة توفّرها علاقة الدين العميقة بحياة الناس في جميع المناسبات، ومنها مناسبات الزواج والوفاة، والقضايا التي تمثّل همومهم اليومية.

ويشكل الفهم الخاطئ للتمسك ببعض المعتقدات الدينية عقبة كبيرة في طريق تقدّم المجتمعات التي يشكل الدين أساساً لحضارتها، فبدلاً من فهم العودة إلى الأصول على أنه تنقية التشريعات الدينية مما علق بها من شوائب أو بدع أو اجتهادات في غير محلّها أدخَلها عليها أفراد مغرضون أو كائدون أو أنظمة سياسية استخدمت الدين للحفاظ على مصالحها، فإنّه يتم فهم الأصولية على أنها تمسك بآراء متزمتة وفتاوى يمكن أن تكون شكّلت حلولاً آنية لمشاكل في العصر الذي عاش فيه أصحابها، ولكنها لم تعد تنفع لمواجهة ما تعانيه مجتمعاتنا من قضايا، ومن هذه القضايا ما يعانيه الفرد والمجتمع من ذهنية خرافية تُشكِّل جاهلية حديثة وبيئة خصبة للإيمان بالخرافات والتأثر بها وتطوير القيم المجتمعية بما يتناسب معها وانقياد السلوك لها.

تتضح العصبية في المسائل التي لا يتضح فيها وجه الحق بسهولة أكثر من غيرها من المسائل، ولا تقتصر هذه العصبية على المسائل الدينية بل تتعداها إلى المسائل الفكرية والقومية والحزبية والطبقية وغيرها، حيث يرى صاحب العصبية نفسَه على هدى وحق دائماً، وعادة ما يكون ذلك دونما حجة أو برهان، وإن كانت هناك حجة فإنّها تكون غير مقنعة إلّا له دون غيره، ولا يرى إلّا قناعاته والرأي الذي يعتقد ويرى، ويؤثر ذلك على سلوكه ومعاملاته وليس هذا فحسب، بل يرى أن غيره على باطل، وهو يمثل حالة من الانغلاق أو الجمود الفكري تجعل صاحبها أيضاً يطالب الآخرين باتّباعه دون احترام لوجهات نظرهم.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

ويعبّر التعصب الديني عن اختلال في ميزان الفهْم الديني لجماعات دينية تعاني من السطحية في الفكر، والجهل بكليات الدين ومقاصد الشرع، والبعد عن تبنّي الفكر الوسطي المعتدل الذي يمتلك المحتوى المتوازن في جميع القضايا، فيؤدي هذا التعصب إلى تراجع الرسالة الحضارية والإنسانية للأمة والتخلّف عن ركب الحضارة الإنسانية والعيش خارج السياق الحضاري والانحطاط الفكري والأخلاقي والسلوكي، ويعود بالأثر السلبي على الدين نفسه ويؤدي إلى ظهور الفتن وقيام الحروب والصراعات والانفلات الأمني وإعطاء المبررات للتدخل في شؤون الدول وتفتيتها والسيطرة على مقدراتها، ولا بدّ هنا من التأكيد على أن الوسطيّة ليست توسطاً بين طرفي شيء واحد، ولا وقوفاً بين شيئين، أو توفيقاً بين أمرين، أو أَنْصَافاً للحلول، ولا تَكتسي باللون الرمادي، ولكنها موقف فكري وأخلاقي وسلوكي مستقل ينهج صاحبه الاعتدال في التصورات والمناهج والمواقف، واجتناب مظاهر الغُلوّ في الفكر والسلوك والممارسة، وتُمثِّل احتكاماً لتحديد الأنسب أو الأصلح والأخذ بالأفضل، مهما كان موقع هذا الأفضل من هذا الطرف أو ذاك، وهي تشخيص للحالة بشكل حقيقي وواقعي، بانتهاج العقلانية والموضوعية، وتشجيع البحث والتفكير العلمي والناقد، والحوار، كمدخل للفهم والتفاهم والحفاظ على السلم الأهلي، والمشاركة في إيجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية والدينية والسياسية بحيث يساعدنا هذا النهج في الكشف عن المظاهر السلبية والأسطورية والخرافية في الثقافة العربية والأسس المنهجية للفكر العربي، ويشكل ذلك خطوة باتجاه الخروج من حالة التخلف الحضاري والفكري.

وصورة المرأة في المجتمع هي إحدى أهم مزايا الفكر، ويمكن القول أن الصورة النمطية عن المرأة في المجتمع العربي تعدّ محصلة موضوعية للتفاعل الاجتماعي، والسياسي، والثقافي والديني المعبر عن أشكال من الصراع الفكري داخل المجتمع، وإلى جانب الخصوصيات الذاتية والمحلية فإنّ مجتمعاتنا العربية تتقارب في نظرة المرأة العربية إلى نفسها، ونظرة المجتمع إليها، وهاجس المرأة الدائم في التحرر الاجتماعي والسياسي والجسدي، وإن تعديل النظام القائم، يعني إعادة النظر في القواعد والأسس التي أدّت إلى وجودها، وهي مسألة تستدعي كثيراً من الجهد المتواصل، والوقت الطويل، وربما المزيد من الديمقراطية، وهو ما يفسّر بطء التقدم في مجال تطوير تصورات وأطروحات تخص القضايا الاجتماعية المتعلقة بأوضاع المرأة العربية منذ أن أطلق قاسم أمين دعوته إلى تحرير المرأة منذ ما يقرب من مئة وعشرين عاماً.

والمرأة العربيّة غائبة في مراحل تطوُّر بعض مجتمعاتنا العربية، ولم تحقق منجزات ملحوظة في اكتساب القدرات الذاتيّة، وبقيت مشاركتها في النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ منقوصة، وتُمارَس ضدّها أنواعٌ متعدِّدة من العنف والانتقاص من حرّيَّتها الشخصيّة، والحرمان من فرص متساوية في مجالات الصحة والتعليم والعمل، بسبب الموروث الثقافي والاجتماعي، والسائد من الثقافة الشعبيّة، وتكريس صورة نمطيّة دونيّة عن المرأة، وأن المرأة العربية باستلابها حريتها وواقع النظرة الدونية إليها في الثقافة السائدة، والخضوع للسلطة الذكورية، وإرادة الرجل ومشيئته، وعدم قدرتها على بناء وجهة نظر خاصة تجاه قضايا المجتمع المحيط، وفرض الرقابة على سلوكها، وسلبها إرادتها، وفرض المجتمع عليها العيش في مجالات ضيقة.

ويلتبس مفهوم حرية المرأة بمفهوم الإرادة وتحقيق الكرامة، وربما كان هذا المفهوم عند البعض سطحياً ويعبّر عنه بالتحرر الجسدي، بعيداً عن الوعي الفكري وإزالة الموانع الاجتماعية من طريق تكامل شخصية المرأة والحصول على حقوقها كاملة، والموانع الاجتماعية من حيث تعلّقها بالفكر تتركز حول ما يجبر المرأة على الخضوع لإرادة الآخرين والحركة ضمن محيط خاص مفروض عليها، ويأتي بعد ذلك تشريع القوانين للتغلب على الصعوبات التي تعيق الحصول على هذه الحقوق.

ومثلما يساهم العمل في استقرار المجتمع وتماسكه، فإنّه إضافة إلى كونه وسيلة لكسب العيش، يبني قدرة الفرد على مواجهة التحديات واستقراره النفسي وتحقيق ذاته وقدرته على التغيير، وقد أثير الكثير من الجدل في المجتمعات العربية حول عمل المرأة ويمكن أن يشجع تغيير القوانين والأعراف على تغيير بعض التصّورات تجاه المقبول أو المرغوب من السلوكيات لضمان فعالية التغيير الاجتماعي واستدامته.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

إنّ عيشنا في هذا الزمن الذي يمتاز بتأكيد حاجتنا إلى مواكبة مستجدات العصر وتطوراته، يفرض علينا أن نختبرَ معتقداتنا التي نتمسك بها، وبإزالة الكثير من العقبات المرتبطة بالبنى الاجتماعية والثقافية التقليدية من طريق الوعي العلمي والنظام الحضاري، واعتماد العقلانية والتفكير العلمي أساساً منهجياً، إضافة إلى إعادة النظر في الكثير من مفردات ثقافتنا الشعبية، والتفاعل بين الإنسان وبيئته، وتدبير شؤون المجتمع، أو لنقُل فترات تاريخية عانى فيها المجتمع العربي من الهزيمة، بعضها لا يزال قائماً، فترسّخَ الخوف والانقسام في نفوس الأجيال وعقولهم، وقبول ما لا يتوافق مع المنطق، وبدأ المجتمع العربي يعاني من مظاهر التفكير الخرافي والأسطوري الذي شكّل عائقاً أمام محاولات التطور والانتقال إلى دوائر الحداثة والتنوّر الفكري والتمدّن والتألق العلمي كتحوّل يعني اعتماد العقلانية وتغليب الفكر العلمي على ما سواه، وإعلاء قيمة الفرد في المجتمع بتطبيق المساواة ونيل حقوق الإنسان والأوطان، وتوفير حرية الاعتقاد وحرية الفكر والإبداع، وحرية الرأي، باعتبار هذه الحريات مقدسّة من قبل مجموع الأفراد في المجتمع على امتداد التاريخ، وقابلية تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، والإعلاء من شأن التعليم والبحث العلمي، وغير ذلك من ركائز أساسية يؤدي تحقيقها إلى الوصول إلى مجتمع عصري.

وقد أصبح المجتمع يجترّ أسباب تخلفه التي تشمل كل مظاهر الضعف والجهل ويطور ذهنية خرافية وأنماطاً من المعتقدات والمفاهيم تخلّت عن طريقة التفكير العقلانية عبر حركات تدريجية متتالية سواء في الأسرة أو في دوائر الحياة الاجتماعية المختلفة. ولا بدّ أن نأخذ بالاعتبار أن مجتمعاتنا العربية تقوم عليها أنظمة سياسية وتربوية لا يقرأ المتنفذون فيها ما يكتب المفكّرون، وقد يحلو لبعض هذه الأنظمة أن يرجئ إلى حين، وصول شعوب، لم تنضج في نظرهم بعد، إلى المعاصرة، ويتّهمون المفكرين بالتسرّع والرغبة في سبق الزمن وغرس المعاصرة بين يوم وليلة، وأن نعرف أيضاً أن بعض مفكرينا هم خُدّام لمقاماتِ جهلنا، يتكسّبون منها، ويهمهم كثيراً ألّا تُهدم هذه المقامات.

طلقة تنوير
العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

شخصية العدد:

الأمير المثقف الفارس عبد القادر الجزائري

نسرين الصغير

الأمير عبد القادر بن محي الدين والذي اشتهر بـ عبد القادر الجزائري، ولد قرب مدينة معسكر بالجزائر عام 1808م، وتوفي في المنفى في دمشق يوم 26 آيار 1883م، ودُفن في مقام الشيخ محيي الدين بن عربي في الصالحية في دمشق. نشأ في مهد العلم والتقوى واهتم بالتحصيل وتفوق بالأدب والفقه والتوحيد والحكمة، وكان والده محي الدين حريصاً على تعليم ابنه وهو فتى ركوب الخيل والرماية، فنشأ جامعاً بين أسباب القوة، العِلم والسيف.

اشتهر عبد القادر الجزائري وذاع صيته في المشرق العربي كله، فقد كان فيلسوفاً وكاتباً وشاعراً وسياسياً ومحارباً، قارع الاحتلال الفرنسي في الجزائر على مدى سنين طوال، وكان رمزاً للمقاومة الجزائرية والعربية ضد المحتل. تلقى تعليمه الصوفي، وأجاد القراءة والكتابة وتفسير القرآن الكريم، بعثه والده لمدينة وهران طلباً للعلم وحضر دروس الشيخ أحمد بن الخوجة، فتعمق بالفقه وتعلم الفلسفة والرياضيات والجغرافية على يد الشيخ أحمد بن طاهر البطيوي واستمر في هذه المرحلة حتى عام 1823م.
ذهب بصحبة والده في رحلة استمرت سنتين للحج، وبعد عودته وجد الجزائر محتلةً من قبل الفرنسيين، وكان الحاكم العثماني لوهران قد سلم البلدة للفرنسيين، فبدأت رحلته القتالية النضالية في محاربة المحتل الفرنسي. كان يقاتل في صفوف المجاهدين خلف والده محي الدين، وبعدها قرر الجزائريون مبايعة محي الدين أميراً عليهم فرفض، وذلك بسبب تقدمه في العمر، ورشح ابنه عبد القادر للمهمة بسبب حكمته وقدرته القتالية، وبويع عبدالقادر الجزائري في 21 تشرين الثاني 1832، وتولى القيادة وهو ابن الخامسة والعشرين من عمره.

اختار مدينة المعسكر مسقط رأسه، ورتب جنوده وباشر قتال المحتل الفرنسي، ونازل الجنرال الفرنسي بواية واستطاع أن يطارده في معاقله الحصينة، مما اضطر القيادة الفرنسية إلى عزله وتعيين دي ميشيل بديلاً عنه، ولم يقلل ذلك من عزيمة عبد القادر فسرعان ما تمكن من إحباط مكائده، مما اضطره للمهادنة والرضوخ لطلبات القائد البطل عبد القادر فوقع معاهدة "دي ميشيل" والتي اعترفت لعبد القادر بجميع مقاطعة وهران، واستطاع أن يرسل قناصل له إلى كل مكان وأن يستورد الأسلحة من أي جهة يريدها، وهنا ضَمِن القائد وجود عيونٍ له في كل مكان، بالإضافة إلى تسليح المقاومة لمجابهة المحتل في كل الميادين وتحقيق نجاحات عديدة للمقاومة. بعد فترة، ظهر من يتعاون مع المحتل الفرنسي ضد المقاومة، فقد انضمت قبيلتا (الدوائر والزمالة) إلى فرنسا، فطلب الأمير من فرنسا تسليم رؤسائهم له، إلا أن الجنرال تريزل رفض ذلك.

وبعد "معاهدة دي ميشيل" والنصر والشهرة التي حققها القائد عبد القادر تمكن بدهائه السياسي من توقيع اتفاقية "التفنة" عام 1837م والتي اعترفت له فيها فرنسا بجميع مقاطعة وهران وقسمٍ كبير من أراضي الجزائر.
بعد هذه المرحلة التي استمرت حوالي خمس سنوات، وبعد أن استطاع الأمير معرفة طريقه ورسم خطته، بدأ بمرحلة العمل بتنظيم أعلى، فرتب جيشاً منظماً قسمه إلى مشاة وفرسان ومدفعية، واستعان لتدريبه وتعليمه بضباط من الجيش التونسي والجند العثماني، وسن لهذا الجيش نظاماً يتعلق بمأكله وملبسه ورواتبه، ومدة التعليم وشروط الترقي. كما اهتم الأمير أيضاً بشؤون الزراعة والتجارة والتعليم، وأنشأ المخازن لادخار الأقوات والحبوب.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

وكعادة المحتل بنقض العهود والوعود، فعندما وجدت الأمير يتقدم في وجهها ويثبت أركان قوته، أعلنت فرنسا الحرب عليه، فنادى الأمير بالجهاد في وجه فرنسا في تشرين الثاني ١٨٣٩، واستمرت هذه المرحلة من الحرب أربع سنوات على التوالي من دون انقطاع، وبسبب عدم التكافؤ بين القوتين، سقطت معظم حصون الأمير عبدالقادر الجزائري، واستولى العدو على أكثر مدنه، مما اضطره لمغادرة الجزائر إلى المغرب، وحاول اقناع سلطان المغرب على حمل السلاح في وجه المحتل الفرنسي، وبقي متربصاً للمحتل إلى أن بدأت ثورة عام ١٨٤٦م، فعاد إلى أرض الجزائر مرة ثانية وشرع في رحلة المقاومة من جديد.

لكن التآمر على الثورة وعلى أميرها وإحاطة جميع الجيوش به، اضطره للإسراع إلى الحدود المراكشية، فطلبت فرنسا من السلطان عبد الرحمن تسليمه لفرنسا، فبدأ السلطان في حملة بحث عن الجزائري حتى يسلمه للسلطات الفرنسية وينال رضاهم! وفي ٢٣ كانون الأول ١٨٤٧ قام الجزائري بتسليم نفسه للمحتل وتحديداً للجنرال لامور يسيار، بعد اتفاقه معه على ضمان خروجه وعائلته من الجزائر إلى الإسكندرية أو عكا، لكن الفرنسيين نكثوا عهدهم، وبقي أسيراً لديهم عدة سنوات، حتى أطلقوا سراحه عام ١٨٥٢م، فرحل إلى الأستانة وأقام في بورصة التركية.

قام نابليون الثالث باستدعاء الأمير وقابل هناك وزراء ووجهاء فرنسيين، وكان الأمير كعادته طليق اللسان، سريع البديهة، فتحدث في كافة الشؤون السياسية والعسكرية مما أثار دهشة وإعجاب الفرنسيين بذكائه وخبرته، وطلب منه نابليون أن يعتبر فرنسا وطناً ثانياً له، لكن عبد القادر الجزائري كان صلباً في انتمائه لقوميته العربية، فرفض عرض الفرنسيين رفضاً قاطعاً، فقد كان يعلم خبث وخبايا نوايا المستعمر مهما جمّلها، واتجه بعدها إلى الشرق.

ومن بورصة التركية انتقل الجزائري إلى دمشق ليستقر فيها عام ١٨٥٦م، وهناك بقي حتى وافته المنية سنة ١٨٨٣م، وقد استقبله أهل دمشق بالحفاوة والإجلال، وكان منزله مقصداً للناس جميعاً، وتبوأ فيهم مكانةً تليق به كزعيم سياسي وعسكري ودِيني، بالإضافة لكونه أديباً وشاعراً-كما ذكرنا سابقاً-، فصيته وسمعته وبطولاته كانت قد سبقت وصوله للشرق بكثير، فأخذ في دمشق مكانته بين العلماء والوجهاء، ثم قام بالتدريس في الجامع الأموي. وفي عام ١٨٦٠م، وقعت الفتنة الطائفية الشهيرة بين الدروز والمسيحيين، فما كان للأمير أن يقف متفرجاً أمام مثل هذه النزاعات الطائفية -التي لا يخفى على أي عاقل دور المُستعمر بإذكائها- ففتح بيته للعائلات المسيحية، وقام بالسعي لإخماد النار، ونجح كعادته.

إن سيرة حياة الأمير عبد القادر الجزائري هي سيرة مقاومة وعروبة وعلم، وهي سيرة تختزل في جنباتها العروة الوثقى بين المشرق والمغرب العربي. وقد قامت الحكومة السورية بإعادة تأهيل بيت الأمير عبد القادر بعد عقودٍ من وفاته، ليصبح قبلة سياحية وثقافية في دمشق وتحديداً في منطقة ضاحية دُمّر غربي دمشق، وضم القصر قاعة كبيرة خاصة بتراث الأمير عبد القادر، وكان العمل بالتعاون مع السفارة الجزائرية في دمشق التي تعهدت بتزويد الدولة السورية بكل ما يرتبط بتراث الأمير، باعتبار الجهتين أن الأمير هو شخصية قومية عربية تخص السوريين وكل العرب، كما تخص الشعب العربي الجزائري. وفي عام ١٩٦٦م، وكانت الجزائر قد تحررت، قامت سورية بالتعاون مع الجزائر في عهد الرئيس هواري بومدين وتنفيذاً لوصية الأمير، بنقل جثمانه من دمشق إلى الجزائر.

من أهم مؤلفاته:
- كتاب المواقف
- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، وكان رسالة إلى الفرنسيين

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

الصفحة الثقافية: ناجي علوش شاعراً
معاوية موسى

إنّ القدرة على قرض الشعر هي قدرة على عيش الحياة، فلن يكتب الشعر الجيد إلا الحريص على أن يعيش حياته في قلب الأحداث، فيتفاعل مع الناس، فيفرح لأفراحهم، ويحزن لأحزانهم، ويعبر عن ذلك بالكلمة الشعرية التي تخاطب الروح والنفس والوجدان.
كل ذلك وأكثر نلمسه ببساطة، ومن دون عناء أو تكلّف، في أشعار الفتى الحالم الذي خرج لنا من بيرزيت يوماً بهديته الصغيرة التي تجسّد الحب باحتراف، معلناً في هذا الديوان البسيط والعميق في آن، انطلاقة ناجي علوش الشعرية، هدية صغيرة لمي الأخت، حملت عنوان هذا العمل الجديد والجميل، يقول ناجي مفتتحاً هديته تلك:

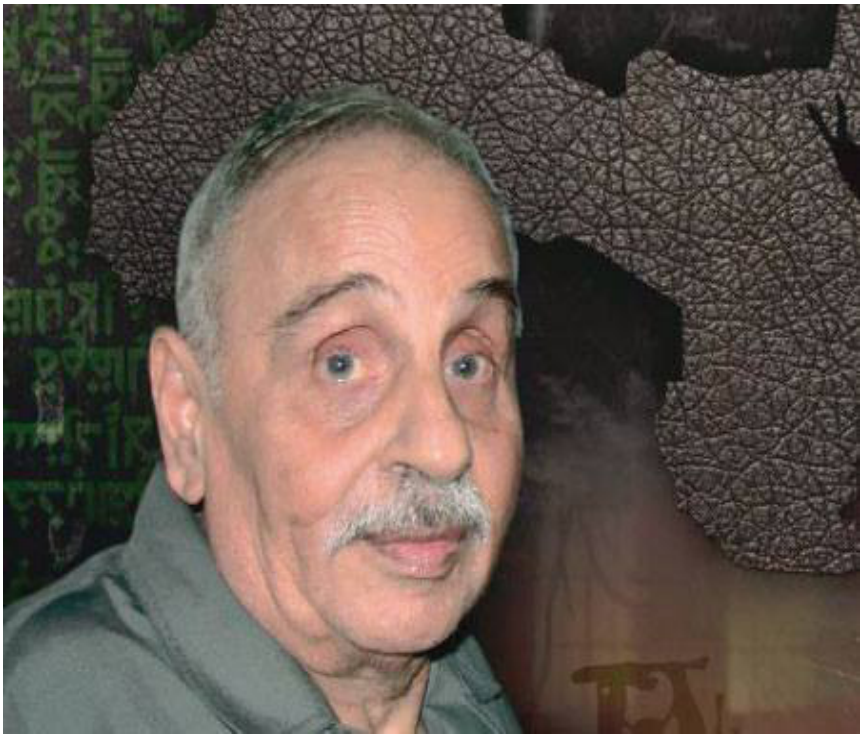

غيري يمنّي من يحب بالنجوم
أما أنا
فليس عندي غير بعض الشعر
حصادُ رحلتي وغربتي
هذا الذي لدي
فهل تراه يستحق الذكر؟

ثم يكمل:
عزيزتي
أواه كم أودّ أن أراك، أن تضمّني
عيناك، أن أعود
وفي يدي بعض ما جنيت من مجاهل
الوجود
هديةٌ صغيرة لقلبك الودود

تلك الهدية الصغيرة من صاحب القلب الكبير، من الإنسان المرهف قبل المقاتل الشرس، المقاتل المسافر الذي عرفته ساحات الوغى والمنافي الباردة، ظلّ يحس بمشاعر الإنسان العادي والبسيط، وفي قلبه لوعة المحب، المشتاق لقريته، لأهله، لسنوات الماضي الجميل، للصفاء والنقاء، والعيش دون سفر، لكنه القدر، قدر ناجي بأن يكون دائم الترحال، بعيداً في رحلة طويلة وزادها قليل، ليصاب لاحقاً بلوعة فراق الأم، الأم التي قضَت قبل أن تفرح بعودته سالماً إليها، والتي أهداها قصيدة "سيدة البستان":

وجهك المهيب غابْ، والرياح
هذا اليوم عاتية...
فإن أتى آذار...من سيبذر البذار...
من سيزرع الغراس...
من سيحضن الغراس...
كفّاك عادتا إلى التراب والأكف باقية
لكنها بلا مراس
سيدة البستان
لا تتركينا نحضن الصقيع
فالتراب يحضن الربيع
والبراعم
تنشقّ عن أوراقها
تقاوم الصقيع والرياح والمطر.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

ناجي علوش يكتب الأرض ويكتب للأرض. يكتب ببساطة الحوار العادي، بأناقة قصيدةٍ مزهوةٍ بنفسها. تضجّ قصائده بعبق البلاد وأحلام العشاق والشهداء.
وأجمل ما يميزه هنا أنه واصَلَ التأكيد على طيبة الفلسطيني الإنسان، الفلسطيني الأرض، الفلسطيني الملتصق بالأرض. وفي ذات الوقت أصرّت مفرداته على ألّا سبيل للمواصلة سوى في حمل السلاح والمقاومة. لا سيما في "النوافذ التي تفتحها القنابل" وهو من أهمّ الدواوين التي أنجزها الشاعر ناجي علوش، وقد كتب قصائده تلك في عدّة مدن وبلدان من عمّان إلى القاهرة إلى بغداد إلى بيروت إلى الجزائر فهافانا، والتي تؤكّد لنا رحلة الشاعر الطويلة التي كابَدَ فيها كثيراً، تارةً لجلب الرزق وتارةً أخرى مطارداً من الأخوة الأعداء، باحثاً عن مساحة من الحرية تتيح له الالتصاق بالوطن وأحلام المناضل العاشق.
يقول في قصيدة "ذكريات أيام عمان السوداء":

من قال إنّ هذه المدينة
تريد أن تقدم الضحايا
للصنم المحروق من أجيال
من قال إنّ خيرة الشباب والصبايا
سوف يموتون على الأبواب
من قال يا سلوى بأن مهج الأحباب
لا بدّ أن تظلّ كل عمرها حزينة
من قال يا سلوى بأنّ لعنة الغياب
سوف تحول بيننا
من قال يا صغيرتي
من قال؟

وفي قصيدة "لم ينتهِ النضال بعد"، والمُهداة إلى فيديل كاسترو يقول:
لم ينتهِ النضال بعد
لم تنتهِ المسيرة
فما تزال ألف أمة فقيرة
ترزح تحت وطأة الأغلال
وما يزال الغول في نيويورك سيداً وملكاً
وما تزال في بلاد الجوع والخيرات ألف طغمة أجيرة
ونحن ما نزال يا رفاق في بداية المسيرة

الإنسان ابن تجربته، وناجي علوش "المناضل والشاعر والإنسان" من الشعراء القلائل الذين عاشوا تجربة الناس وتواصلوا معهم، فالإبداع لا يمكن أن يكون إلا فعلاً ينبع من التجربة العامة الإنسانية؛ تجربة تعكس انتماء الشاعر للمألوف والأصيل والعميق.

ضمّ هذا الديوان الكثير من القصائد التي عبّرت عن فكر ووجدان وتجربة الشاعر، لنتعلّم منه أن الشعر والحياة صنوان لا يمكن إلا أن يكون فيه الشعر رفيق أحزاننا وأفراحنا، عندئذٍ فقط تدخل القصيدة إلى قلوبنا وتتفتح أساريرنا بنشوة إرادة الحياة وتذكّر من سبقونا، وهنا ينتقل بنا الشاعر ناجي علوش إلى وداع أخيه موسى:

وأذكر أننا في الثلج ودّعنا أخي موسى
ولم يبلغ ثلاث سنين
وكان الثلج ليلتها قد استرخى على
الأبواب والطرق
وخلانا مع النيران
ومات أخي
لأن الثلج سدّ منافذ الأفق

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

وفي قصيدة أخرى جميلة ومؤثرة يرثي فيها علوش الشهيد أبا خالد جورج:

حين ينقطع النبع بي
أسأل الصخر عن نبعة
لم تستطع أن تشق الطريق
حين ينقطع النبع بي
يزهر الحزن في قاع روحي
ويطلق في قفر روحي جداول
وأغنّي لحزن يهبّ فيزرع في
قاع روحي سنابل

من فرط العمق والصدق تكاد تشعر بوخْز الوجع في أوصالك، فأحاسيس كهذه تحتاج إلى "التجربة" حتى تصل إلى هذه الدرجة من تجسيد الوجع باحتراف، الاحتراف الذي تلمسه بصدق المشاعر وانسيابها، مشاعر حقيقية وبعيدة في الآن عينه عن الابتذال، هذا الديوان الدافئ يعانق فيك الشعور، يعيد بصرك إلى الروابط الأسرية، إلى عرق الأب وظلّ الأم، وتلك البساطة الممتدة في حبّهما الذي يتكاثر وينتشر.
الصور الشعرية رائعة، الموضوع المتناوَل في الكتاب إنساني يأخذك إلى عالم أجمل، أخضر، ممهّد بالحب والحنين والحنان. يهزّك من الأعماق، عن حياة وشعور وأسرار إنسان نَذَر نفسه ومصيره لقضايا الأمة، لكنه لم يفقد ذاك الحس الإنساني المرهف والبسيط الذي ظلّ يعبر عنه بين الحين والآخر في كل مناسبة، ولم ينفصل عن عالمه الاجتماعي إلا بمقدار ما أجبرته الظروف وغبار المعارك، والتي بالمناسبة أفرد لها مساحة خاصة وكبيرة في شعره، وإن كنّا نحاول هنا التركيزَ على الشعر الإنساني والعاطفي عند ناجي علوش.

في ديوان "الزهر والنار" يهدي ناجي قصيدته المتميزة "محاورة مع أبي الطيب المتنبي" والتي بدأ كتابتها في بيروت وأكملها لاحقاً في فيتنام إلى رفيقة دربه سميرة عسل، ومطلعها:
لليل رهبتهُ
وبي شوقٌ إلى سفرٍ طويل
أمتدُّ فيه حيث لا تصل
العيون الزئبقية
لأحط في حدق الرفاق المولعين
بطلعة النجم البهية
والساهرين على السبيل
لليل رهبتهُ
وبي شوقٌ إلى سفرٍطويل.

ولقد كتب الشاعر عدداً من قصائد ذلك الديوان في فيتنام، نذكر منها قصيدة بعنوان "هانوي" يقول فيها:

هانوي
تطلق الأحلام في العيون
وترصد الأنهار في اندفاع
هانوي
الله لو رأيت
كيف تزهر الوجوه
في مسابح الأرز
وكيف تشرب الوجوه
كل روعة السماء
الله لو رأيت كيف توغل السيقان
في التراب
والأنامل المجربات في قرار الماء
هانوي.

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

تبقى هذه الصفحات القليلة محاولة بسيطة ومدخل متواضع إلى كل من يريد التعرّف على ناجي علوش الشاعر، لكن قراءة أشعار ناجي تبقى هي الأهم، وشخصياً أعجز عن وصف مدى اللذة التي كنت أستشعرها تجتاح كامل حواسي وأنا أقرأ شعر ناجي علوش، إنه مدهش ومثير. وكما يقول وليد أبو بكر الذي قدّم لكتاب الأفعال الشعرية للمرحوم ناجي علوش: كيف يمكن تلخيص كل هذا الأفق الواسع في كلمات؟ كيف يمكن أن يجمع البحر في وعاء صغير، وهو أفق لا يكفي مداد البحر له مداداً؟ كيف يمكن الحديث عن تاريخ من الفكر والنضال والشعر، والحس الإنساني الفائق، في صفحات قليلة تعجز عن القول حين يحين وقته، ويسبق وعيها فصاحتها من قبل أن تبدأ؟

العدد رقم (37) صدر في 1 حزيران عام 2017 للميلاد

قصيدة العدد:

حكم الغريب/طارق شخاترة

تترنَّـحُ الكلمـاتْ سَـكْرَى فـي المَـدَى ... وَيَظَـلُّ صوتي يحتسـي كأسَ الصَّدى
وأغـوصُ فـي ليـلِ الثُّمَالـةِ عَلَّنـي ... أصحـو علـى الفجرِ الذي ولَّى سُدَى
وأطـوفُ فـي بسـتانِ حُزنـي باكيـاً ... جُوريَّـةً تشـكو التَّصَحُّـرَ للنَّـدى
أهـذي بشـعْرٍ فـي عيـونِ عُروبتـي ... تلـك التـي نسـختْ ضَلالـي بالهُـدَى
وأعـودُ للماضـي القريـبِ فـلا أرى ... إلا زمانـاً فـي الخضـوع تبـدّدا
لمَّـا السـلاطينُ استباحوا أرضَنَـا ... شـرب الثَّرى العطشـانُ أقداحَ الرَّدَى
مـن بطْـشِ سَـفَّاحٍ ووالٍ جائـرٍ ... صـارت بـلادي مُضغـةً بِفَـمِ العِـدَى
حيـن امتطـى السلطانُ عرشَ بلادِنا ... مـاءُ الكرامـةِ فـي الوجـوهِ تَجَمَّـدا
وأذاقنـا الإقطـاعُ كُلَّ مَـرارةٍ ... ولغيـر نهْـبِ النَّـاسِ لـم يَمْـدُدْ يَـدَا
مـا بـالُ قومـي يرتجـون خليفـةً ... قـد جرَّبـوه فعـاث فيهـا مُفْسِـدَا
يـا أيُّهـا العقـلاءُ يكفـي مـا مضـى ... صَلُّـوا لكـي لا يرجـعَ الماضـي غَـدَا
حكـمُ الغريـبِ مذلـةٌ ومهانـةٌ ... حتَّـى ولـو ثوبـاً مـنَ النُسْـكِ ارتـدى
مـن جـاء باسـم الديـن يطلـبُ وُدَّكُـمْ ... مـا كان إلا طاغيـاً مُسْـتَعْبِدَا
مـدَّ الغريـبُ لكـم يـداً وتأكـدوا ... مـا مدَّهـا إلّا لكـي يتمـدّدا
هـل أطفـأ التَّضليـلُ نـورَ عيونِكـم ... حتَّـى تـروا فـي الأجنبـيِّ مُجَـدِّدَا
أرضُ العروبـةِ لـم تـزلْ ولَّادَةً ... ولسـوف يأتيهـا المخـاضُ مُجَـدَّدَا
كـم مـن صحابـيٍّ جليـلٍ أنجبـتْ ... كـم قائـدٍ نـذرتْ لسـاحات الفِـدَا
يكفـي بـلاد العـرب فخـراً أنّهـا ... ولـدت إمـامَ المرسـلينَ مُحَمَّـدا

كاريكاتور العدد

انتهى العدد